النص الارسطي بين التشذر والوحدة النسقية

د. عبدالرحمن بوقاف

قسم الفلسفة ، جامعة الجزائر

١ - العرض النظري

لا يختلف اثنان فى الحضور الذى يمثله الفكر اليونانى في المشهد الفكرى بكل تجلياته . وعندما نتأمل هذا الفكر فأول ما تتجه اليه الذاكرة رجالاته الذين يتصدرهم أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م) لا أعتقد أن مفكرا آخر استطاع ان يبسط هيمنته علي الثقافة البشرية مثل هذا الفيلسوف ، وقد يعود ذلك إلي اتساع الفضاء الذي اكتسحه فكره .

لا يمكنني هنا أن أحلل مبررات هذه السلطة التي دامت قرونا، وإن كان حضورها بالزخم الذي تذكره كتب التاريخ يدعو إلي الفضول المعرفي. ولكن تغلغل هذه الفلسفة في مناحي الروح المختلفة جعل مصطلح الفلسفة فى العصور الوسطى مثلا يعني فلسفة أرسطو ، ومن ثم كانت مسألة التوفيق بين مطالب العقل ومطالب الوحي تعني التوفيق بين النص الأرسطي والنص الديني . وهنا أود أن أورد مثالا يعبر عن مدي تمكن سلطة هذا النص ، فقد كُتب قديما على أحد تماثيل جامعة أكسفورد ما يلى :

إن طلبة الليسانس والدراسات العليا الذين لا يتبعون أرسطو باخلاص يتعرضون لدفع غرامة قدرها خمسة شيلنجات عن كل نقطة يخالفونه فيها، وعن كل خطأ يرتكبونه ضد منطق الأورغانون [١] .

---

(1) Quoted in R.F. Yones, *Ancients and Moderns, A study of the Scientific Movements in Seventeenth Century England* . 2nd ed. (C.A. University of California Pien. 1961). p. 4.

ويذكر المرجع المشار إليه أن دارسا طرد من الجامعة لأنه تجرأ على مخالفة أرسطو . أن تكون الفلسفة فيما مضى قد عنت فلسفة أرسطو فهذا ليس شأنا فلسفيا بل حكما مسبقا اقتضته الحاجة اللاهوتية إلى ذلك . قد يعود هذا الحكم إلى أن فلسفة أرسطو تمثل النموذج الأسمى الذى بلغته الفلسفة آنذاك، ألم يطلق عليه العرب لقب «المعلم الأول» ؟ ومـوازاة مع هـذه النظرة «كانت الأرسطية (Aristotalianism) بالنسبة إلى العرب والمسيحية على السواء خطاطه (Scheme) من الأفكار صارمة وثابتة ونسقا محكما»[١] يتسم بالانسجام والاتساق ، وينطبق هذا خاصة على منطقه الذى ظُن أنه كامل[٢] . وحتى إذا بدا هناك تعارض بين تعاليم أرسطو كما تذكرها نصوصه فإن الموقف العام هو افتراض أن أحد النصوص فاسد [٣] لا يمثل وجهة نظر الفيلسوف الحقيقية، ومن ثم وجب تقريبه إلي الخط العام لنظامه حفاظا على تناسق النص وانسجامه .

إذا نظرنا بروح نقدية إلي النص الأرسطى كما يؤطره هذا الافتراض وجدنا لانفسنا مبررا لوضعه موضع تساؤل : هل يوجد فى النص الارسطى ما يسوغ وجود هذه النسقية المحكمة؟ هل النصوص التي تنسب عادة إلي أرسطو والتي

---

(1) W.K.C. Guthrie, *A History of Greek Philosophy*, V. VI : *Aristotle : An Encounter* (Combridge: Cambridge University Press, 1981, repr., 1998), p. 1.

(٢) ذلك ما يصرح به كانط عندما يذكر «أن هذا المنطق (الصوري الارسطى) لم يستطع حتى الآن أن يتقدم خطوة واحدة ، وبذلك يمثل للعيان مذهبا تاما ومغلقا» أنظر :

Citique of Pure Reason, Bviii.

وفى هذا ايضا يكتب C. Lejweski «أن سلطة أرسطو فيما يتعلق بالمنطق ، قبل ظهور المنطق الرمزى ، لم يتحدها أحد وأن منطقه اعتبر نسقا شاملا غير قابل للتمديد» أنظر مقالته فى :

The Encyclopedia of Philosophy, V.IV. ed. P. Edwards (N.Y. & London: Macmillan, Inc., 1967),. p. 517.

(3) G.E.R. Lloyed, *Aristotle: The Growth and Structure of is Thought* (Cambridge: The University Press, 1968), p. 19.

تجسد فكرة فى مجالات فلسفية مختلفة تمثل نسقا بالمعنى الذي ساد تاريخ الفلسفة؟

- ٢ -

الاجابة التي أقدمها هنا تكون بالنفي ، وليست هذه محاولة جديدة كل الجدة بل قراءة تستند إلي معطيات النص نفسه وإلي بعض الباحثين فى فلسفة أرسطو . ولكن قبل الخوض فى تفاصيل هذا الزعم رأيت ، لضرورة منهجية، أن أوضح ما المقصود بـ« النسق» حتى يكون القارىء على بينة من المسألة . إن مصطلح «النسق» هو المقابل العربي للمصطلح الأجنبي systema وهو يوناني الاصل system ويعنى عموما مجموعة من الأشياء مرتبطة فيما بينها مشكلة وحدة أو كلا عضويا . بهذا التعريف الاشتقاقى يكون حضور النسق لا يقتصر علي الفلسفة ،. بل يوجد في ميادين أخري مثل علم الفلك Solar systemأو علم الاحياء nervous system.

هذه السمة العامة تحتفظ بها فكرة النسق فى الفلسفة، تلك الفكرة التي كانت في بعض اللحظات من تطور الفلسفة المطلب الضروري لكل بناء فلسفي. لقد كان الفلاسفة ، المؤيدون للنسق منهم والمعارضون له ، واعين بهذه الظاهرة فى إحدى تموجاتها التاريخية . ولا أريد هنا أن ألاحق هذا الوعي تاريخيا، بل أكتفي بالوقوف عند بعض المحطات لأنتهي ، استنادا إلى ذلك ، بطرح السمات التي أراها ضرورية للنسق كما تجلي فى ممارساته .

من الفلاسفة الذين حاولوا جادين توجيه الفلسفة توجيها نسقيا الفيلسوف ديكارت (١٥٩٦ - ١٦٥٠) الذين يعرف الفلسفة بأنها «المعرفة الكاملة بالاشياء التي فى مقدور الانسان معرفتها» [١]. ولبلوغ هذه المعرفة لابد من البحث عن

---

(1) Descarte, "Principles of Philosophy" in *The Philosoplucal Writings of Descartes*, V.1, tr. y. Collinghoam, R. Stoothoff and D. Murdoch (Cambridge: Cambridge University Press. 1985), p. 179.

الاسباب أو المبادىء الأولى التي تعتمد عليها بقية الاشياء إعتماد النتائج على المقدمات . هذا يعنى أن هذه المبادئ توظف بصفتها نقطة انطلاق فى استنباط الحقائق الأخري . يمكن فى هذا السياق فهم تشبيه ديكارت الفلسفة بالشجرة التي تمثل جذورها الميتافيزيقا التي توفر المبادىء الأولي (تذكر هنا عنوان كتابه الاساسى تأملات فى الفلسفة الأولى) . ويمثل جذعها علم الطبيعة، أما الفروع فتمثل العلوم الأخري ، التي يمكن ردها إلي ثلاثة علوم رئيسية هي علم الميكانيكا والطب والأخلاق [1]. استعمال رمزية الشجرة يشير إلى العلاقة العضوية التي يجب توفرها بين أجزاء المعرفة الفلسفية فى نظام واحد، ومن الناحية المنطقية تكون العلاقة التي تربط بين هذه الاجزاء ذات طبيعة استنباطية . ولا غرابة فى ذلك ما دام النموذج الذي يحتذي به ديكارت هو الرياضيات .

لقد سيطرت هذه الفكرة على العقلانيين فى القرن السابع عشر ، ولم تكن موضوعا للنقاش بل ولم يحاول أحد تحديد مفهوم النسق . لقد ذكرنا تعريف ديكارت وشرحه الذي لم يميز فيه بين الفلسفة والصورة (النسق) التى يشترطها لها . ولكن عندما نأتى إلى القرن الثامن عشر الذي يسميه كانط بحق «عصر النقد» نجد بعض الفلاسفة يثورون على «الروح النسقية»(l'esprit de system) هذا المصطلح الذي شاع استعماله . والذى كان يقصد به اساسا عقلانية ديكارت .

مادام التنويريون قد ثاروا علي الروح النسقية فما الذى يفهمونه بهذا المصطلح ؟ لقد أراد كوندياك Condillac(١٧١٤ - ١٧٨٠) فى كتابه مقالة في الانساق (Traité des systémes, 1749) أن يوضح معنى هذا المصطلح بقوله :

«النسق ليس الا ترتيبالاجزاء المختلفة لفن من الفنون أو علم من العلوم فى نظام حيث تعتمد (الاجزاء) على بعضها البعض ، وحيث تكون الاجزاء الأولى

---

(1) Ibid., p. 186.

شارحه للتالية . وتسمي الأجزاء التي تبرر الأخري المبادىء . ويكون النسق اكثر كمالا كلما كانت مبادؤه أقل عددا ، بل إن المبتغى فى ذلك هو أن ترد هذه المبادىء الى مبدأ واحد» (١).

نحن نعلم أن فيخته Fichte (١٧٦٢ - ١٨١٤) فيما بعد سيشترط مبدأ واحدا فى النسق لتصل الفلسفة بالفعل إلى مرتبة العلم ، ومن ثم ألف كتابه (نظرية العلم) (١٧٩٤) Wissenschaftslehre .

الاشارة إلي فيخته تعني ان الروح النسقية عاشت لحظتها الزاهرة فى المانيا حيث الفلاسفة ربطوا مفهوم النسق بالعلم . هذا ما نجده عند كانط الذي لم يستطع ، فى نظر فيخته وهيجل ، تحقيق هذه النسقية لفلسفته . ومع ذلك يرى كانط ضرورة التوجه النسقي للفلسفة ،. ذلك ما يذكره قبيل نهاية نقد العقل الخالص حيث تطرق إلي معمارية العقل الخالص التي ترتقي بها الفلسفة الي مستوي النسق .

أفهم بالمعمارية archetectonic فن بناء الانساق ، إن الوحدة النسقية هي التي ترتقي بالمعرفة العادية إلي رتبة العلم ، أي تؤلف نسقا من مجرد تجمع-ag gregate للمعارف ... وأفهم بالنسق وحدة مختلف المعارف تحت فكرة واحدة . هذه الفكرة هى التصور الذي يوفره العقل - والذى هو صورة الكل - طالما أن التصور يحدد قبليا ليس محتوى المعرفة المتنوع فقط ، بل كذلك المواقع التى تتخذها الاجزاء بالنسبة الى بعضها البعض (٢).

وطالما أن هذه المعمارية تقتضى تأليف أجزاء المعرفة بهذا التمسك فلابد أن تكون هناك غاية تخدمها ، وهى التي تجعل الأجزاء تنتظم بطريقة معينة، على أن

---

(1) Kant, *Critique of Pure Reason* Trans. N.K. Smith (N.Y. St. Martain Press, 1965), A832/B860.

(2) R. Lefévre, *Condillaec ou la Joie de Vivre*, présentation, choix de textes, bibliographic (Paris. Editions SEGUERS, 1966), pp. 128-29.

يكون هذا التنظيم ليس اعتباطيا بل ضروريا ، بحيث لا يمكن اضافة عناصر أو اجزاء من الخارج . يعني هذا أيضا ان نمو النسق يكون داخليا، وهو في هذا يشبه الكائن الحي الذي ينمو بنمو أعضائه وليس باضافة أعضاء جديدة [١].

أن يكون كانط قد حقق هذا المطلب النسقى فى فلسفته أم لا فذلك لا يهمنا، ولكن المهم هو شعوره بالحاجة إلى هذه الصورة التى يشترطها فى الفلسفة والتي يربطها بالعلمية .

سأنهى هذه السفرة التاريخية القصيرة بالتوقف عند هيجل الذي سخر طاقته الفكرية لتشييد بنائه الفكرى فى صورة نسق . وهو فى هذا التوجه يتفق مع كانط وفيخته على اشتراط النسقية للفلسفة حتى تكون علما : «إن التفلسف من دون نسق لا يمكن أن يكون علما على الاطلاق» [٢]، وهو يقدم لذلك سببين:

أ – إن موضوع الفلسفة ، الفكرة أو المطلق ما هو الا تطور الفكر نفسه كما تجلي فى تاريخ الفلسفة . وما دام هذا المحتوي ينمو حسب حركته الداخلية فهو يمثل وحدة ، ولذلك فالعلم بهذه الفكرة لابد أن يكون نسقا .

ب – يذكر هيجل في محاضراته فى تاريخ الفلسفة وفى منطق الموسوعة أن الفلسفات التى ظهرت ليست فى الحقيقة فلسفات مختلفة لأن هذا التاريخ «يبين أن هناك فلسفة واحدة فقط تتشكل فى مراحل مختلفة ..وأن المبادىء الجزئية التي أسس عليها كل نسق نفسه ما هي الا فروع لكل واحد»[٣] وبناء على هذا الاستدلال تكون الفلسفة الأخيرة فى الظهور، فلسفة هيجل طبعا ، الحاوية لكل المبادىء السابقة .

ويذكر هيجل فى هذا الكتاب وفى محاضراته أن المهم فى تاريخ الفلسفة من وجهة نظر الحاضر (عصر هيجل) هو المحتوى الموضوعي للفكرة وليس الآراء

---

(1) Ibid., A833/B861.
(2) Hegel, *The Encyclopedia Logic*, Tr. T.F. Greates, W.A Suchting and H.S. Harris (Indiana, USA: Hackett Publishing Company, 1991), Para 14.
(3) Ibid., Para 13.

الشخصية للفلاسفة . وهو عندما يعرض نسقه يحاول أن يبين أن الحركية التي تنمى الفكر لا تخضع لتوجيه خارجى بل لضرورة داخلية .

عطفا على ماسبق يمكننا أن نفهم أن صناعة الأنساق تفترض، وقد تكون مخطئة فى ذلك ، أن التفكير خارج النسق لا ينتج الا شتاتا من المعارف بلا رابط يوحدها ويفضى عليها معنى . من هنا نفهم المبرر لدى بناة الانساق .

- ٣ -

بعد هذا العرض المقتضب تتبين لنا الفكرة عن طبيعة النسق كما فهمه بعض الفلاسفة ، ولكن ما رأيناه لا يسد الحاجة لأن ما قاله هؤلاء لا يعد كافيا، لذلك رأيت أن أقترح وضعا للنسق كما فهمت تجلياته التاريخية .

١ - الجهاز المفاهيمي :

وأعنى بذلك مجموع المفاهيم الاساسية التي يوظفها صاحب النسق ليعبر بها عن مجمل الطروحات والآراء المتعلقة بالمسائل التى يرى إدراجها ضروريا فى النسق . وأهم شىء فى هذا هو المفاهيم التي ينحتها لنفسه ، أى التي لم يسبقه إليها أحد ، أو التي كانت متداولة ولكنه يضمنها معانى خاصة به . بهذا تكون وظيفة المفاهيم مزدوجة ، فهى بنائية لأنها اللبنات التي يستعلمها الفيلسوف فى بناء النسق والتي تجعله يتميز عن غيره . وهي ثانيا نقدية طالما أن الفيلسوف يتخذها مبررات لتجاوز فلسفة أخرى . وقد يذكر الفيلسوف ذلك صراحة كما هو الحال عند سبينوزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧) الذي ينتقد سابقيه فى استعمالهم الغامض لمصطلح الجوهر، وهى ممارسة عرفها تاريخ الفلسفة . من هنا يبدو أن الوظيفة النقدية تبرر والوظيفة البنائية تقدم البديل . هذه الخاصية تنبىء عن أصالة الفيلسوف وتميزه وتفرده .

وليست المفاهيم فى مستوي واحد ، لا من حيث دورها ولا من حيث الفضاء الذى يسمح له به في النسق . فمثلا مقولات الجهة عند كانط لا تملك نفس الفضاء الذي تملكه مقولات السببية رغم أنها جميعا مقولات . من هنا تكون بعض المفاهيم أكثر اساسية من غيرها .

٢ - المباديء :

لكى تؤدى المفاهيم دورها لابد من توجيهها هذه الوجهة أو تلك ، والذي يقوم بذلك هو مبدأ أو مجموعة من المبادىء يذكرها الفيلسوف صراحة أو يسكت عنها. فلو أخذنا مثلا نسق لايبنتز Leibniz (١٦٤٦ - ١٧١٦) لوجدناه يحتوى علي جملة من المباديء تسير النسق ، من هذه مبدأ السبب لكافى ، مبدأ الكمال. وإذا عدنا إلى ديكارت نجده يصرح بأنه يتخذ الكوجيتو المبدأ الأول لبناء فلسفته ، وهو ينتمى إلى جذور الشجرة (الميتافيزيقا) التى تبحث عنها الفلسفة الأولى Philosophia prima . إذا كانت المبادىء تقوم بهذا الدور الموجه فهذا يعني أن كل نسق تحكمه غاية معينة يريد بلوغها .

٣ - الشمولية Comprehensiveness أو Totality :

كثير ما تذكر المراجع التاريخية أن الفلسفة تدور حول محاور أو قيم ثلاث هى الحق والخير والجمال . يمكن أن يدرج تحت المحور الأول مبحث الميتافيزيقا أو المعرفة عموما، وتحت الثانى الاخلاق والسياسة وتحت الثالث مبحث الجمال. لماذا يفعل النسق ذلك (الشمولية)؟ كل نسق يطرح نفسه بديلا عن غيره، ولكي يقوم بذلك يري لزاما عليه أن يكتسح الفضاءات البحثية التي يمارس فيها فعل التفلسف تقليديا نشاطه . وتحقيق الشمولية يتوقف على مدى قدرة الفيلسوف على ايجاد الروابط بين هذه الفضاءات ، خاصة إذا كان التصور التقليدي للفلسفة لا يقر مثلا بأن تنفصل نظرية المعرفة عن نظرية الوجود . اتصاف النسق بهذه الصفة هي التي جعلت هيجل يؤاخذ غيره بها .

لقد أسيء استعمال مفهوم النسق فى الآونة الأخيرة، وذلك بتضمينه معنى الالتزام بمبدأ واحد وأحادى . لكن المعنى الحقيقي لـ «النسق» هو الشمولية، وبهذا فقط يكون النسق حقيقيا [١]، وهذه

---

(١) المقصود بهذا فيخته

الشمولية تبدأ مما هو أكثر بساطة لتصير بنموها أكثر عينية [١].

وإذا استطاع النسق أن يحقق هذه الشمولية أكثر من غيره فإنه يكون بذلك قد تجاوز غيره من الفلسفات . ومن بين ما يتمثل فيه ذلك هو قدرته التفسيرية التي تمكنه من تجاوز العجز الذي يمكن أن تعانيه الفلسفات السائدة . وقد يشعر النسق بهذا التفوق حتي يتهيأ له أنه أجاب بالفعل عن كل سؤال مطروح. أنظر مثلا ما يصرح به كانط :

لقد وضعت فى هذا البحث (نقد العقل الخالص) التمام هدفي الاساسي، ولذلك اجرؤ على التصريح بأنه لا توجد مشكلة ميتافيزيقية واحدة لم تحل أو على الأقل لم يوفر المفتاح لحلها[٢] .

٤ - الاتساق Consistency :

اشتراط الاتساق يلزم عن المعنى اللغوى لمفهوم النسق ، أما تطبيقه على الفلسفة النسقية فيعنى انسجام الاجراء فيما بينها لتؤلف بذلك وحدة متماسكة. والذى يضمن هذه الوحدة هو المبادىء المسيرة للنسق طالما أنها الموجه الفعلي له تحقيقا لغاية يرومها . هذه المبادىء هى التي تحمي النسق من الاضطراب المفاهيمى الذي يمكن أن يزعزع البناء فيصاب بشروخ تؤدى به الي التصدع .

٥ - الوحدة المنهجية :

لا تكتمل هذية النسق وانسجامه إذا لم يكن يخضع لمنهج واحد ، لأننا نعتقد أن المنهج يؤطر نظرة الفيلسوف إلي المباحث التي يتناولها ، ولذلك فايقاع أكثر من منهج يحدث تعددا فى الرؤية والتناول لينجم عن ذلك خلل داخل البناء النسقي. وإذا حدث هذا فإن البناء الفلسفى يفقد هويته النسقية على الرغم من أنه يبقى دائما ينتسب لصاحبه الذى لم يعد يتحكم به .

---

(1) Hegel, *Introduction to the Lectures on the History of Philosophy*, Trans,T.M.Knoxa dn A.V. Miller (Oxford: The Clarendon Press, 1985), p.87.

(2) Kant, *Critique of Pure Reason*, Axiii.

٢ - التطبيق : حالة أرسطو

- ٤ -

قبل أن أشرع فى محاكمة النص الأرسطى من منطلق هذا البناء التصورى للنسق أود أن ألفت انتباه القاريء الي عدم التسرع في الحكم علي نسقية فلسفة ما أو عدم نسقيتها . يحدث هذا مثلا إذا ظن ان اتصاف فلسفة معينة بالشمولية أو بالوحدة المنهجية يرقي بها إلى مصاف النسقية التي عهدناها فى تاريخ الفلسفة . ولكن ما هذا بصحيح ، ذلك أن فلسفة ما يمكن أن تتصف بالوحدة المنهجية من دون أن تشكل بذلك نسقا . يصدق هذا علي حركة فلسفية كالوضعية المنطقية التي تتبني التحليل منهجا في معالجة المشاكل الفلسفية غير أن هذا لا يعنى أنها نسق . أضف إلى ذلك ، وهذا هو الأهم ، أن طبيعة هذا المنهج كما مورنس تأبي النسقية لأنه منهج يحلل اللغة الفلسفية توضيحا للمعنى وليس للبناء النسقي .

سأتناول فى هذه العجالة مثالا يوضح عمليا الفكرة السابقة. يتحدث أحد الوضعيين المناطقة، ف . ويزمانF. Waismann (١٨٩٦ - ١٩٥١) ، عن طبيعة السؤال أو المشكلة والجواب فى السياق الفلسفى فيقول ، «المسألة الحقيقية فى الفلسفة لا تكمن فى ايجاد الجواب لسؤال ما ، بل فى ايجاد معنى له» (١).

بهذا لا تؤدى دراسة المشكلة الفلسفية إلي جواب كما نفهم ذلك عادة لأن هذا لا توفره الفلسفة ، فهى لا تقدم حلولا . لكن ما هو مصير السؤال الفلسفى إذن؟ يجيب «ويزمان» السؤال الفلسفى لا يحل ، وإنما يحلل»(٢) .

(A philosophic question is not solved. it dissolves)

---

(1) F. Waismann, "How I See Philosophy" in A.J. Ayer, Ed. *Logical positivism* (N.Y.: The Free Press. 1959) , p. 351.

(2) Ibid., p. 354.

ثم يشرح أن هذا «التحلل» (dissolving) يكمن في جعل الالفاظ أو المفردات التي يصاغ بها السؤال واضحة لنا ، وبذلك نتحرر من هيمنته التي تعود أساسا الى الغموض الذي يكتنفه .

أحسب ، على الأقل مؤقتا ، أن الافكار المذكورة ستفى بالغرض، وهو إثبات أن المعلم الأول لا يملك نسقا حسب التصور المطروح . وليس هذا طرحا جديدا كل الجدة، إذ هناك من الباحثين من قالوا به ، كل بطريقته ، ولكن أعتقد أن الدراسات العربية لم توله الاهتمام الضروري .

أعتقد أن لكل موضوع مقتضياته المنهجية ، وموضوعنا لا يشذ عن ذلك، ولكى أحقق بعض التقدم فيه سألجا إلى المعطيات التاريخية بصفتها عاملا هاما فى هذا المسعى بالاضافة إلى الممارسة المنهجية لأرسطو .

من المعطيات التاريخية أن أرسطو ألف نوعين من الكتابات :

أ – كتابات موجهة الي الجمهور غير المتخصص (exoteric)، أى الجمهور خارج اللوقيون Lyceism ، ونظرا الى ذلك فهى تتصف بخاصيتين : (١) انها غير تقنية وغير معقدة فى وسائلها التعبيرية . و (٢) إن أكثرها كتب في شكل حوار علي الطريقة الافلاطونية ، وذلك لأن أرسطو كتبها في وقت مبكر تحت تأثير افلاطون [١]. ويبدو أن أرسطو أحال الى هذه الكتابات فى محاضراته، من ذلك ما قاله فى (الاخلاق الى نيقوماخوس) حيث السياق يتعلق بضرورة معرفة طالب السياسة النفس حتي يفهم السعادة والفضيلة :

لقد قلنا بعض الاشياء حول هذا (الموضوع : النفس) بما فيه الكفاية، حتي في الأعمال خارج المدرسة (Exoteric) . ويجب أن نستعمل هذه ، مثال ذلك أنه يوجد فى النفس عنصر لا عقلانى ومبدأ عقلانى [٢].

---

(1) G.E.R. Lloyd, pp. 10-11.
(2) Arisrtbe, *Nicomachean Ethiics* Tr. W.D. Ross. 1102 a 26-30.

ولكن رغم وجود هذا النوع من الكتابات وصحة انتسابها الي أرسطو فإن الدراسات الارسطية تجمع على أنها ضاعت كلها [١] ، ولم يبق منها الا شذرات ذكرت في كتب غيره .

- ٥ -

إذا كان عدد هام من العناوين ، بصرف النظر عن محتواها الذي يجهل عنه الكثير ، قد ضاع فإن السؤال الذى يواجه الباحث عن النسق فى فلسفة أرسطو هو كيف يمكن البحث عن ذلك وجزء هام من انتاجه الفكري لم يستقر في الذاكرة الفلسفية؟ يمكن أن يقال ، وهو أمر تردده كتب المتخصصين ، أن جزءا هاما من هذه الكتابات قد ألف فى ريعان الشباب عندما كان أرسطو تحت تأثير أفلاطون . لكن هل هذا يعفيها من أن تأخذ مساحتها في النسق ؟ ثم عدُّها لا تعبر عن التوجه النسقي لفلسفة المعلم الأول ألا يعنى ذلك أننا أقحمنا ذاتيتنا (تأويلنا) أكثر مما يسمح به التناول المنهجي؟ أعتقد أنه إذا كان جزء هام من النص مفقودا فإن ذلك يجعله نصا مبتورا ، وهذا البتر يجعل البحث عن نسق متكامل ومتماسك غير ذى جدوى .

ب - الكتابات التعليمية (Esoteric) :

عندما نأتي إلي الكتابات التي وصلتنا والتي تمثل المادة الهامة لفكر أرسطو نجد اختلافا كبيرا بين الدارسين حول الكثير من المسائل المتعلقة بها . سنقتصر هنا على ما يخدم البحث. إذا نظرنا إلي هذه الكتابات من حيث الشكل نجد أنها تفتقر إلى سلاسة الأسلوب ووضوحه ، أو ما يمكن تسميته بطهارة الأسلوب. وتعود هذه السمة الأسلوبية إلى أن اللكتابات التعليمية لم تكن موضوعا للنشر ، فقد كانت موجهة للخاصة في المقام الأول ، وهم طلبة أرسطو فى

---

(١) بعض هذه العناوين المفقود:

1. Smposium 2. Politicus 3. Sophistes 4. Menexenus
5. on the Good 6. Grylus 7. On Forms 8. Eudemus
9. De Philosophia

اللوقيون Lyceum . ولا تعود المشكلة الاسلوبية إلى عدم قدرة أرسطو مضاهاة أستاذه أفلاطون ، فكتابات أرسطو المنشورة والموجهة الي العامة(Exoteric) أشاد بجمالية أسلوبها بعض المتأخرين ، أمثلة شيشرون Cicero (١٠٦ - ٤٣ ق.م) ، بل تعود إلي أن أرسطو نفسه لم يكن يعتزم نشرها ومن ثم لجأ إلى أسلوب الكتايات التعليمية . أعنى بذلك أنه كان يكتب أفكاره مختصرة بغية التوسع فيها في المحاضرات ، ولذلك توصف بأنها «رؤوس أقلام»[١] (Lecture notes) . وهذا ما جعل أرسطو يضيف إليها ويعدل باستمرار. ويقوم بذلك بإستعانة معاونيه[٢] .

غير أن هذه التسمية لم ترق لبعض الدارسين فخففوا منها بقولهم إنها «مسودات محاضرات»(Working drafts) [٣].

هذه الخاصية التي لا ينفيها المتخصصون تنطوى على جملة من المشاكل، من ذلك أنها تفسر الانتقال المفاجيء فى النصوص وعدم الاتساق فى العرض، يضاف إلى ذلك أن محاولة اخضاع هذه النصوص لترتيب زمنى تكون صعبة جدا ان لم نقل مستحيلة . تعود هذه الصعوبة إلى التعديل والاضافة في فترات مختلفة . ومن هنا فإن اللجوء إلي التقنية المعروفة بالاحالات بين النصوص (Cross-references) لا يؤتمن دائما . ولا يلام أرسطو إذا كان فعلا لم يكن ينوي نشرها ، ثم إننا لا ندرى لماذا لم يؤرخ لا عماله ، خاصة إذا علمنا أن عملية التأريخ لم تكن مجهولة لدى اليونان ، فأبيقور Epicurus مثلا (٣٤١ - ٢٧١) أرخ بعض أعماله .

حسب بعض المتخصصين هناك بعض المؤلفات من بين الأعمال الأرسطية لم يؤلفها أرسطو نفسه ، من هذه الميكانيكا Mechanics المسائل Problems

---

(1) W.K. C. Guthrie, p. 50.
(2) Ibid.
(3) Y. Barnes, "Life and work" in Y. Barnes, ed. *The Cambridge Companion To Aristotle* (Cambridge: Cambridge University Press, 1995), p. 14.

يذكر Lloyd صاحب هذا الرأي ، أن هذا الكتاب المسائل ورد فى نصوص أخرى لأرسطو بهذا العنوان ، غير أن احالات أرسطو إليه فى كتبه الأخرى، «لم ينطبق على العموم مع أى مقطع»[١] من الكتاب المذكور . أما فيما يخص كتاب (الآثار العلوية)Meteorologica فليس سهلا اثبات انتساب المقالة الرابعة فيه إلي أرسطو ، وكذلك هو الشأن بالنسبة إلى تاريخ الحيوان-Historia ani malium حيث المقالة العاشرة فيه يمكن أن ترفض . أما المقالات XI - VII فصحة نسبها إلى أرسطو مشكوك فيها[٢] .

- ٦ -

لا يمكننى أن أتطرق الى كل الأعمال من حيث صحة نسبها إلى أرسطو وعدم صحة ذلك ، فليس هذا الفضاء مكانا لذلك ولا أدعي التخصص الدقيق في الأرسطيات .

ومع ذلك فإن ما كتبه بعض المتخصصين استنادا إلى طبيعة النصوص الأرسطية يدل على جدية هذه المسألة . ولكن بما أن السياق يستلزم ، ولو جزئيا، الاستدلال ببعض النصوص فإن أحسن ما يعبر عن التشتت النصي هو الميتافيزيقا التي يعتقد أنها أعقد ما كتب أرسطو .

إذا بدأنا بالعنوان نجد أن المراجع العامة منها خاصة ، تذكر أن العنوان ظهر لغاية تنظيمية ، ويعنى المؤلفات التي تأتي في الترتيب بعد كتاب (الفزيقا) [٣]، وهو ما يدل عليه المقطع ميتا (Meta) ، كما تذكر أن أول ذكر لهذا المصطلح وجد عند نيكولا الدمشقي (فى النصف الأول من القرن الاول ق.م) [٤]. نجد أن هناك من ذهب إلى أن هذا المصطلح يحمل معنى مذهبيا (doctrinal) ، أي أن

---

(1) G.E..R Lloyd. p. 16.
(2) Ibid.
(3) W.D. Rioss, *Aristotle*, 5 ler ed. (N.Y: Meridian Books, 1959), p. 20.
(4) P. Aubenque, *Le Probleme de l'etre Chez Aristote* (Parisi PUF, 1996, 1st. ed., 1962), p. 29.

الاعتبارات الميتافيزيقية تأتي بعد المؤلفات الطبيعية وتتجاوزها[1] ، وهذا ما تقتضيه طبيعة الموضوع المدروس .

لم يكن العنوان مرتعا لجدل كبير سواء أخذ في معناه الشائع أو فى سياقه المذهبي، لأنه بعض النظر عن اتجاه معناه قد صار الاستعمال الشائع الذى يعرف به هذا المؤلف . ولكن المشكلة تثار بحده عندما نأتي الي محتوي الميتافيزيقا التي لا تشكل ، من الناحية التاريخية على الأقل ، كتابا واحدا لأن ظهور هذا المؤلف بشكله المعروف يعود إلى ترتيب أول ناشر لأعمال أرسطو «أندرونيكوس الروديسى» Andronicus of Rhodesالذى كان ، بعد أرسطو ، عاشر رئيس للوقيون (٥٠ - ٧٠ ق.م)

نحن لم نطور دراساتنا التاريخية في الفلسفة اليونانية حتى نلجأ إلى متخصصين عرب لذلك قرأت دائما نلجأ الى متخصصين أجانب . وبما أن فضاء هذه الأفكار لا يسمح باستعراض آراء المتخصصين ، وهم كثر ، فسأقتصر على بعض منهم . أبدأ بـ «ادوارد تسلر» Eduard Zelles (١٨١٤ - ١٩٠٨) الذي يعد من أكبر المتخصصين الألمان في الفلسفة اليونانية فى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين .

يرى هذا الدارس أن أطلاق مصطلح الميتافيزيقا الذي يرجح أن يكون معروفا لدى الحشائيين قبل زمن «ألدوينكوس» على بعض مؤلفات أرسطو يدل على أن هذا الأخير يبني الميتافيزيقا علي الفيزيقا، يتألف الكتاب فى شكله الحالي من أربع عشرة مقالة تم تأليفها فى أوقات مختلفة لتجمع تحت عنوان واحد ، الميتافيزيقا، وبذلك تخلو من أية حدة يفترض وجودها في الكتب بمادة [2]. ذلك ما تؤيده بعض الدراسات المتخصصة ، فهذا أحد كبار

---

(1) Y. Owens, *The Doctrine of Being in the Aristotelian Metaphysics* 2nd, ed, (Canada: Pontifiual Institute of Medival Studies, 1963), p. 74.

(2) E. Zeller, *Outlines of the History of Greek Philosophy*, 13th ed. revised by W. Nestle and tr. by L.R. Pamer (N.Y: Meridian Book, 1959), p. 181.

المتخصصين، وديفيد روص David Ross المعروف بترجمته الانجليزية لـ «الميتا فيزيقا» وتعليقه علينا، إضافة إلى ترجمات أخرى مع شروح لها يذكر وصفا عاما لهذا الكتاب:

يبدو بديهيها وللوهلة الأولى أنها (الميتافيزيقا) ليست عملا منتهيا يراد له أن يقرأ فى صورته الحالية ، فليس فقط أن المقالات : «الفا الصغري» و «دلتا» و «كابا» تعد إقحاما واضحا ، بل حتى المقالات الأخرى تفتقر إلى تواصل الأفكار الذى يتوقعه القارىء من مؤلف واحد[١] .

ويبدو أن هناك تداخلا بين مواضيعها ، بل بعضها لا ينسب حتي إلى أرسطو . ذلك هو حال «الفا الصغري» (Little alpha) التي نسبها حتى القدامى إلي «باسيكلس الروديسى» (Pasicles of Rhodes) والتى تتألف من ملاحظات (Notes) كان هذا الطالب قد دونها من محاضرة كانت (حسب (14 a 995 .3 مدخلا)، ليس للميتافيزيقا ، بل للفزيقا»[٢] .

ويذهب Zeller إلي أن مقالة Delta تعد معزولة عن غيرها من المقالات، وإن كانت موجهة ضد ثنائية الاكاديميين . أما مقالة Kappa فتكرر فصولها ١ – ٨ باختصار محتويات المقالات Beta. Gamma. Epsilon، اما الفصول ٩ – ١٢ فهى اقتباسات من عدة كتب من الفيزياء[٣] يحددها «روص» Ross بالمقالات V.III. II ، و ويواصل «روص» إن نحو (grammar)هذه المقالة (Kappa) ليس أرسطيا في بعض مناحيه، فهو يمثل بحق ملاحظات سجلها أحد الطلبة ، وتؤيده فى هذا بعض الدراسات الحديثة جدا [٤]. وضع كهذا يجلعنا محرجين فى نظرتنا إلى هذا الكتاب .

---

(1) W.D. Ross, "Introduction" to *Aristotle's Metaphysics, A Revised Text with Introduction and Commentary* vol. I (Oxford: The Clerevdon Press, 1966), p. xi.
(2) E. Zeller, Ibid.
(3) E. Zeller, p. 182.
(4) W.D. Ross, *Aristotle* , p. 20.

لا يمكننا التعامل مع جميع الكتابات الأرسطية لاسباب شرحناها ، ولذا نستند الى ما كتبه العالمون بالموضوع . لقد ذكرت الجانب الشكلى للموضوع ، أى المسألة الأسلوبية ، أما الآن فسأتطرق إلى الجانب البنائى ، وفى هذا يصرح أحد الباحثين أننا لا نعرف كيف كتب أرسطو مؤلفاته كتابة بنائية ، ذلك أن الانتاج الأرسطى كما وصلنا هو من صنع الناشر الأول لهذه الأعمال Antroni-cus لأنه هو الذى قام بترتيب النصوص وتصنيفها الى كتب[١] . وبعضهم يستند إلى شهادة تاريخية لـ «فورفوريوس» Porphyry (٢٣٢ - ٣٠٤) الذى ألف سيرة بعنوان حياة أفلوطين حيث قال «إنه Andronicus صنف أعمال أرسطو وثرفراسنس(Theophrastus) إلى مقالات مجمعا إياها حسب المواضيع المناسبة» [٢]. نحن إذن نجهل مسار النص الأرسطى ، فالاتجاه الذى اتخذه كما هو موجود لدينا كان من وحى فهم الناشر، وقد يكون مختلفا لو أن أرسطو ألفها بغية النشر . لا يمكن التأكد من صحة هذا الزعم ، ولكن احتمال صوابه قوى جدا ذلك أن شخصين لا يوجهان النص نفس الوجهة. وجهة النص تؤثر حتما فى حركة السياق الذى تتأثر به .

إذا كان هذا ما حصل للنص الارسطى ، وهو ما تؤكده المراجع التاريخية ، فهل يمكن ، والحالة هذه ، أن يتحقق المطلب النسقى لنصوص لا نعرف كيف كتبها صاحبها؟ إذا كان هذا هو المسار الذى اتخذته النصوص الارسطية، إضافة إلى خاصيته الاسلوبية وما لحقها من تعديل وإضافة واقحام من طرف أرسطو أو اتباعه ، فهى لا يمكن أن تشكل نسقا بالمعنى المتداول . ومن ثم فقد يكون خطأ أن تقرأ قراءة نسقية لأن النسق يكون حينئذ اقحاما وفرضا لامبرر له. ثم إن القراءة النسقية تنظر إلى الفلسفة الارسطية على أنها كل جامد

---

(1) G.E.R. Lloyd, P. 14.
(2) Quoted in Barnes "Life and work" in Y. Barnes, ed., p. 11.

ودغماتى . غير أن هذه القراءة النسقية التى سادت قرونا ليست الوحيدة ، إذ ليس ضروريا أن تتصف فلسفة أرسطو بهذه الصفة ، ولتغييرها كان لابد من احداث ثورة وهذا ما حققه الباحث الالمانى W. Jaeger الذى تعد أبحاثه نقطة تحول فى تاريخ الدراسات الارسطية ، وذلك بكتابيه :

(1) Studien Zur Entstehungsgeschichte der Metaphysik des Aristotles (1912).

دراسات فى تاريخ تكوين ميتافيزيقا أرسطو .

(2) Aristotlen: Grundlegung einer Geschichte seiner Entwicklung (1923).

أرسطو : الأسس التاريخية لتطوره الفكرى .

حيث يدعو فى كتابه الأول الى تطبيق المنهج التأريخى على الميتافيزيقا ثم يصمم هذا المنهج فى كتابه الثانى على فلسفة أرسطو كلها .

الفكرة العامة التى توجه دراسة هذا الباحث هو أن الفكر الأرسطى لم يكن وحدة جاهزة وساكنة بل خضع لتطور عبر مراحل . هذا التطور بدأ افلاطونيا مهتما بالموضوعات المقارنة ثم نزع نحو عالم التجربة . المسار إذن كان من الافلاطونية إلى التجريبية (Empiricism) . انسجاما مع هذا الطرح العام تكون الفلسفة الارسطية قد مرت بثلاث مراحل .

أ - المرحلة الافلاطونية :

وفيها يعتنق أرسطو فلسفة افلاطون محتوى وشكلا . يظهر الشكل فى إن كثيرا من مؤلفاته الأولى اتبعت الطريقة الحوارية ، ولا غرابة فى ذلك فأرسطو كان قد قضى عشرين سنة طالبا فى الاكاديمية ومدرسا بها ، ويذكر بعض المؤرخين شهادة Cephosodorus تلميذ Isocrates الذى ترأس اللوقيون

والذى ذكر انتماء أرسطو إلى فلسفة أفلاطون فيما يخص نظرية المثل[1] . ذلك ما تبينه محاوره Eudemus التى تتخذ النفس موضوعا لها . فى هذا العمل يلجأ أرسطو إلى مفهوم افلاطون عن التذكر وإدراك المثل فى حالة وجود النفس قبل اتصالها بالعالم الحس[2] محاولا فى ذلك أن يثبت أن النفس خالدة وأن للموتى وجودا أسمى من وجود الاحياء . وهكذا يبدو أنه هذه المحاورة تقتدى بمحاوره أفلاطون فيدون *.

ب - المرحلة الثانية : الرحلات العلمية :

تبدأ هذه المرحلة بوفاة افلاطون سنة ٣٤٧ ق.م. كان أرسطو يأمل فى أن توكل إليه رئاسة الاكاديمية بعد رحيل استاذه ، ولكنها أوكلت إلى ابن أخت افلاطون، «اسبوسيبوس» (Speussipus) **، ولكن لم يكن هذا الحدث مهما من الناحية الفلسفية ، لذا لم يكن ارث رئاسة الاكاديمية يعنى ارث الروح الافلاطونية . يغادر أرسطو صحبة Xenocrates اثينا متجهين إلى اسيا الصغرى (أسوس Assos ولسبوسLesbos) ومقدونيا . فى جزيرة Lesbus يلتقى بـ «ثيوفراسيس»(Theophrastus) الذى عرف باتجاهه العلمى والذى

---

(1) F. Copleston, *A History of Philosophy*, Vol. 1 (Westminister, :A: The Newman Bookshop, 1946, repr, 1966), p. 269.

(2) G. ER. Lloyd, p. 29.

بذكر Lloyd أن اعتقادا ساد فى الأدب اليونانى المبكر مفاده «أن من الأحسن للناس الا يكونوا قد ولدوا أبدا ... أما وأنهم ولدوا فالأحسن لهم بعد ذلك أن يموتوا فى أسرع وقت ممكن»، المرجع نفسه .

* يذكر الاستاذ جميل صليبا أن المرحلة الأولى تعد «أهم مراحل حياته، لا لتأثيرها فى تنشئته العقلية فحسب ، بل لاتاحتها له فرصة الاتصال بفيلسوف مثل افلاطون حتي صار من أكبر تلاميذه ، انظر كتابه تاريخ الفلسفة الاسلامية، ط ٢ (بيروت : دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٧٣)، ص ٦٤، ولكن هذا فى رأينا حكم لا مبرر له .

** قد يعود ذلك إلى العلاقة الخاصة بينه وبين أفلاطون ، وكذلك الى كونه مخولا قانونا لبرث ملكية تنتمى الى العائلة ، أرسطو لم يكن اثينيا ولا فى وضعية تسمح له برياسة الاكاديمية ، انظر Guthrie، ص ٢٤ (مرجع سابق) .

سيخلف أرسطو فى رياسة اللوقيون .

تتسم هذه المرحلة باهتمام أرسطو بالعلوم الطبيعية مخصصا جزءا من وقته لبيولوجيا البحار. وبهذا يبتعد أرسطو ، حسب «ييجر» Jaeger عن الافلاطونية ليستقل بمذاهبه الميتافيزيقية ، مثل الاسباب الأربعة ومذهب الجوهر(١).

جـ - المرحلة الثالثة : العودة إلي اثينا وتأسيس اللوقيون :

يعود أرسطو إلى أثينا سنة ٣٣٥ ق.م ليؤسس اللوقيون Lyceun فى هذه المرحلة يؤلف مقالاته البيولوجية ومجموعته فى التاريخ الدستورى ، هذه الأعمال العلمية تمثل بالنسبة الى Jaeger «نمطاً علميا من البحث الدقيق فى العالم الحقيقى، وهذا كان شيئا جديدا تماما ورائدا فى الحياة اليونانية آنذاك» (٢). استنادا إلى هذه النظرة يكون أرسطو قد نمى فكره بالابتعاد عن التأملات الأفلاطونية والاتجاه نحو التجريبية .

بتبنى هذه النظرية التطورية لفكر أرسطو إعتقد Jaeger أنه استطاع أن يحل اضطراب النص الارسطى الذى يظهر أنه تشكل فى مراحل زمنية مختلفة. وهكذا تظهر المقالات المؤلفة للميتافيزيقا ليست فى مستوى واحد ، ليتبين أن بعضها لا ينسب لارسطو أصلا ، يعتمد Jaeger أساسا الفنيات الأسلوبية فى التركيب ، فمقالة «الفا» Alpha تم التأريخ لها بناء على الفصل التاسع حيث يصف أرسطو الذين تبنوا نظرية المثل باستعمال ضمير المتكلم «نحن» من ذلك مثلا قول «المسالك التى نبين بها أن المثل موجودة» ، وهذا يدل على أن أرسطو كان يكتب بصفته افلاطونيا (٣). واعتمادا عل هذه التقنية الاسلوبية «نحن» تكون المقالة Beta وM 9-10 تنتمى إلى المرحلة نفسها ، وبما أن الفصلين ٩- ١٠ س

---

(1) G.E.R Lloyd, pp. 20 - 21.
(2) Ibid., p. 21.
(3) W.R.C Guthrie, p. 12 and N.2.

MU يعتبران مقدمة لـ NU يعتبران مقدمة لـ NI فإن هذا الأخير ينتمى إلى المرحلة نفسها .

المقالات Theta, Eta , Zeta تتناول الجوهر الحسى ، وهى بذلك تنتمى الى مرحلة متأخرة عندما تحول اهتمام أرسطو من العالم فوق الحسى (الأفلاطونى) إلى العالم الحسى[1] . بل يذهب إلى أن هذه المقالات ، ما دام تتناول الجوهر الحسى ، فهى تنتمى إلى الفيزيقا وليس إلى الميتافيزيقا [2].

هذا جزء من عصارة البحث الذى قام Jaeger فيما يخص الميتافيزيقا ، وهو بهذا يبين أن هذا العمل لم يكن انتاجا جاهزا يدل به أن مؤلفة واحد* وأنه ينتمى إلى مرحلة متأخرة من النضج كما ساد الاعتقاد وقتا ما . قد يعود هذا الاعتقاد إلى أن هذا النص هو الذى يتحدث فيه أرسطو عن «الفلسفة الأولى» التى تعلو كل العلوم الأخرى مرتبة ، ولذلك فلابد أن تكون قمة النضج الفكرى.

بعد هذا الذى ذكرناه فيما يخص الميتافيزيقا يبقى السؤال المنهجى قائما: إذ كانت «الفلسفة الأولى» تتحكم بها نصوص بهذا التفكك فهل يمكنها أن تقوم بدور التنسيق (Systematization) ، وهو عادة الدور التقليدى للميتافيزيقا؟

قيل أن انتقل إلى جوانب أخرى من معالجة هذه المسألة أريد أن أذكر، على سبيل الاشارة ، أن الميتافيزيقا ليست العمل الوحيد الذى يعانى تفكك الأوصال النصية، وإن كانت اكثر النصوص الارسطية إثارة لاشكال الوحدة ، فهناك الفيزيقا التى يرى بعض المؤرخين أن مقاليتها الأولى والثانية تنتميان إلى المرحلة

---

(1) Y, Owens, *The Doctrine of Being*, p. 94.
(2) W.D Ross, "Introduction" vol. 1, p. xix.

* من ذلك مثلا مقالة «الفا الصغرى» ليست من تأليف أرسطو ، فهذه المقالة ، يكتب Ross «توقف المسار بين Beta, Alpha ، فهى لا تحيل إلى أية مقالة أخرى، ولا تحيل هذه إليها .. بالعنوان نفسه يبين أنها إقحام متأخر ، ربما آخر اقحام ، يضاف إلى المنصوص المؤلفة للميتافيزيقا ، اقحمت بعد أن تم ترقيم المقالات الأخرى» (المرجع البق ، ص xxv).

الافلاطونية . أما المقالة الثامنة «فلا تشكل ، حقيقة، جزءا من الفيزيقا أطلاقا ما دام أرسطو يستشهد بـ الفيزيقا ذاكرا عبارة «كما بينا سابقا فى الفيزيقا» [١].

قبل أن تجرنا هذه التأملات إلى جوانب أخرى أود أن أشير الى بعض الآثار التى ترتبت على قراءة Jaeger ومنهجه الذى يوصف عادة بأنه «منهج تكوينى» (genetic approach) . يظهر ذلك فى جروز قراءات متعارضة وأحيانا متناقضة .

١ – يرى الباحث Goehlke ان كل ما وصلنا من نصوص كان من تأليف أرسطو[٢] .

٢ – أما F.Grayel فيرى فى كتابه أرسطو ومدرسته Aristotle and his School (١٩٧٤) ان الأعمال الموجهة للعامة (Exoteric) هى وحدها التى ألفها أرسطو ، اما الاعمال التعليمية الأخرى ، وهى التى لدينا ، فهى من عمل المدرسة Lyceum على مدى ٢٥٠ عاما [٣].

٣ – تأتى القراءة الشاذة لـZurchar لتنفى عن أرسطو أى تأليف تقريبا، إذ بعد قضاء عشر سنوات من «الدراسة المتعلقة بأسلوب ارسطو وتعاليمه» يخلص هذا الباحث إلى «أن لم يكن أرسطو بل تلميذه Theophrastus هو الذى كتب اكثر النصوص كما هى موجودة لدينا»[٤] . ذلك ما ذكره فى كتابه أرسطو : فكرة وأعماله(1952) Aristotles work and Geist قراءة كهذه غريبة جدا ، وقد لا يوجد لها نظير فى نصوص غير أرسطية، ولذلك فهى تتجاوز اشكالية وجود النسق أو عدم وجوده .

---

(1) F. Copleston, *A History of Philosophy* vol. 1, p. 273 (The quote is from Physics, VIII. 251 aa. 253b 21).
(2) W.K.C. Guthrie, p., 50.
(3) Ibid., p. 51.
(4) M. Greme, A Portrait of Aristotle (Chicago: chicago Univerisdty Press, 1963) p.2.

يمكن أن يكون ما قيل حتى الآن يفى بالغرض، غير أننا رأينا أن ندعمه باثارة نقاط أخرى من أهمها مشكلة التعارض بين الطرح الانطولوجى ، والمطلب المعرفى . نحن نعرف أن فلسفة أرسطو ،. من الناحية الانطولوجية، فلسفة جوهر . إذ لو أردنا إنارة السؤال الانطولوجى علي طريقة «كواين» Quine فى مقاله الشهير «حول ما يوجد هناك» (On What there is)[1] لكان الجواب : الجواهر بصفتها الوحدات الانطولوجية الاساسية التى يقوم عليها البناء الفلسفى لأرسطو . وفى هذا نرى أرسطو فى المقالة السابعة من الميتافيريقا يعلن صراحة أن السؤال الذى طرح دائما حول الكينونة يُرد فى الحقيقة إلى سؤال عن الجوهر . لكن ما هو الجوهر عند أرسطو ، لا نجد اجابة واحدة وواضحة لديه .

يعد كتاب المقالات عملا مبكرا ، ويأتى فى مقدمة الأورغانون ، غير أنه ليس عملا منطقيا بحتا فهو لا يخلو من طروحات أنطولوجية ، ولذلك فهم كانط أن مقولات أرسطو انطولوجية تهتم ببنية الاشياء . ليس هذا الفهم خاطئا ، فأرسطو عندما يحدد معانى «الجوهر» يذكر صراحة أن هذا المصطلح يطلق فى معناه الأول والأساس على الأفراد . ذلك ما يصرح به فى الفصل الخامس عندما يأتى بأمثلة «الرجل المفرد» (The individual man) أو «الحصان المفرد»(The individual horse) ولكنه يطلق الجوهر ايضا على الأنواع والاجناس ، ويكون استعماله حينئذ ثانويا [2] طالما ان هذه «تقال عن الجوهر» فى معناه الأولى(Primary) الذى يؤهله لأن يكون موضوعا للحمل . ثم إن الجوهر بهذا يحقق وحدته العددية حتى يشار اليه بـ «هذا» [3].

---

(1) Quine, "On Wheet there is" in *From a Logiccl Point of View* (N.Y:" Huper and Row Publishess. 1961). pp. 1-19.
(2) Aristotle, *Categories and De Interpretation*tr. J.L. Ackrill (Oxford: The Clarendon Press. 1463). 5. 2 a 11.
(3) Ibid., 2 b 10.

عندما ننتقل الى الميتافيزيقا نرى الدارسين فى هذا الموضوع يركزون على المقالة السابقة Zeta حيث يحول أرسطو السؤال عن الكينونة الى سؤال عن الجوهر، وهنا يتغير اتجاه التحليل .

يطلق مصطلح «الجوهر» على أربعة معان ، إن لم يكن أكثر من ذلك ، ذلك أنه يعتقد أن الماهية جوهر الفرد، الكلى ، والجنس ورابعا المادة34 1028b ,Z3) - 35) (The underlying subject)

لكن إذا كان الجوهر فى المقولات قد تعين بالفرد فإنه فى الميتافيزيقا يتعين بالمادة أو بالصورة وهما سيان عند أرسطو . ذلك ما يحدده المعلم الأول الذى ، بعد التواءات أسلوبية يعرف بها ، يتساءل :

لماذا تكون المادة شيئا ما ؟ فمثلا لماذا نجعل هذه المواد منزلا ؟ لأنها جميعا تتصف بـ «هذا؟ الذى هو ماهية المنزل، ولأن رجلا معينا هو «هذا» أو لأن هذا الجسم يتصف بـ «هذا» ، وهكذا نحن نروم السبب (وهذا هو الصورة) الذى من خلاله تكون المادة شيئا ما ، وهذا السبب هو جوهر الشىء»(717, 1041 b 5-9)

هذا ايضا ما ينتهى اليه Ross فى تعليقه عندما يعلن أن ما يجعل المادة شيئا معينا هو حضور الماهية التى تحدد هذا الشىء ليتخذ هوية معينة، لذلك كانت الصورة وليست المادة هى مبدأ التحدد.

لكن ما هى «فضائل» الصورة التى جعلت أرسطو يركز عليها فى تحديد معنى الجوهر؟ إنها تخرجه من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل، وتجعله موضوعا قابلا للتعريف والمعرفة . وبهذا تكون الصورة قد فتحت لأرسطو فضاء منطقيا ومعرفيا . ولعل هناك أسبابا كثيرة جعلت أرسطو ينفى الجوهرية عن الأفراد، وهناك بعض الشواهد الصريحة التى يذكر فيها مبرراته التى يمكن ردها إلى مبررات منطقية ومعرفية .

لا يوجد تعريف للافراد ، ذلك أن التعرف عليها يتم حدسيا ومن خلال الاحساس. أما خارج التجربة الفعلية فليس واضحا إن كانت موجودة أو غير موجودة (Z 10, 1036 a 5 -8) .

وكونها توجد أو لا توجد يعنى أن حالتها الوجودية تتصف بالغموض الذى لا يؤهلها ولأن تكون موضوعا قابلا للمعرفة العلمية . لذا بعد تأمل الافراد يلاحظ أرسطو أنها معرضة للتلف والزوال ليستنتج .

إذن لا يوجد تعريف ولا برهان للجواهر المدركة(perceptible) لأنها تحتوى على مادة ، وهى (المادة) ذات طبيعة معينة تجعلها (الجواهر الفردية) توجد أو لا توجد، ومن ثم يلزم أن كل الأفراد قابلة للفساد (Perishable)).

(Z 15m 1039 b 27-31)

رغم أن مذهب أرسطو فى الجوهر معقد فإن الفكرة العامة قد اتضحت من خلال المقارنة بين النصين اللذين ينطويان على تعارض، فإذا كان الجوهر فى المقولات يتحدد بالفرد (الميتافيزيقا) بالماهية أو الصورة أفلا يكون لدينا بذلك طرح انطولوجى وطرح ابستمولوجى؟ أنا لا أنفى ان تكون هناك قراءة تواؤمية، وهى موجودة ، وضدها موجود أيضا .. ولكن الانسجام الناجم عن ذلك يكون حينئذ من عمل القارى أو المؤول .

يمكننا أيضا أن نجد نصوصا أخرى تجسد تعارضا من هذا القبيل، ففى كتاب فى النفس يوحد أرسطو بين النفس والجسد ، وهذه الوحدة ليست موضع تساؤل .

هذا ما يجعلنا نترك السؤال عما إذا كانت النفس ، والجسد شيئا واحدا بصفته سؤالا غير ضرورى : وهو بلا معنى ، ومثله فى ذلك مثل السؤال عما إذا السمع والشكل الذى تتخذه شيئا واحدا، أو بصفة عامة ، عما اذا كانت مادة الشىء المصنوع منها شيئا واحدا .(II 1, 412b 6-8).

غير أنه فى مكان آخر نراه يحاول أن يجد مكانا للنفس فى الجسد، ذلك ما يرتئيه فى مقالة قصيرة تعرف بـ فى الشباب والشخوخة De la Jemess et de la Vielene .

> لقد قدمنا فى مكان آخر شرحا عن النفس ، فبينما يتضح ان حقيقتها الاساسية لا يمكن ان تكون جسمانية فمن الواضح أنها يجب أن توجد فى بعض أطراف الجسد الذى يجب أن يكون من الأطراف المتحكمة فى الأعضاء (١).

يبدو أن هذا الجزء الذى يخص به أرسطو النفس هو القلب .

يمكن للباحث أن يكتشف اضطرابات نصية لدى أرسطو وغيره من الفلاسفة . هذه الاضطرابات تمثل عوائق أمام القراءة الباحثة عن وحدة فى النصوص ، ولكنها فى الوقت ذاته توجه القراءة لتتميز كل قراءة عن غيرها. واختلاف القراءات ينم عن اختلاف المواقف التأويلية لأن النص موضوع القراءة ينفتح أمام كل قارىء انفتاحا خاصا يداعب فهم الدارس ليشكل معه المنحى الذى يريده هذا الدارس أو ذاك .

لا أريد أن أسترسل فى هذه التموجات التأويلية وإن كانت تداعياتها تفتح فعلا فضاء خصبا ينتقل بالقارىء وبالنص ، مهما بعد تاريخيا ، إلى لحظة عناق وتوتر لحظة وصل وفصل يتشكل بها نص جديد . إذا كان هذا هو واقع القراءة فان ما ينتج عن فعل القراءة يبين أن النص الأصلى يعيش ، ما إن يظهر، لحظة طلاق من صاحبه ليعرف حياة أخرى ما كان ممكنا لصاحبه أن يتنبأ بها .

- ٩ -

عندما نتحدث عن الجوهر نكون بذلك فى صميم الميتافيزيقا، والمشكلة هنا تطرح ، لا على مستوى اضطراب النصوص ، بل على مستوى المعلم الذى يدرس

---

(1) Aristote, ":De La jeunesse et de la viellesse" *in Petets traites d'histoire* naturelle, texte etablis et traduit par Rene ugiier (Paris: Societe d Edition" les Belles Leltres". 1953). I. 467 b 13 FF.

هذا الموضوع . ما هو ، إذن ، موضوع الميتافيريقا؟ لا يجد القارىء جوابا واحدا لدى الباحثين ، ويعود ذلك طبعا الى الفضاءات البحثية التى يوكل أرسطو الى الميتافيريقا، وفى هذا السياق يورد الباحثون عادة تعريفين للميتافيريقا .

هناك علم يبحث فى الكائنات من حيث كينونتها والصفات التى ترتبط بها بالنظر إلى طبيعتها الخاصة بها، وليس هذا يماثل أيا من العلوم الخاصة، اذ لا واحد من هذه يتناول عموما الكائنات من حيث كينونتها – بل إن كلا منها يقتطع جزءا من الكينونة ويدرس صفات هذا الجزء (هذا ما تقوم به العلوم، الرياضية مثلا) . (Gamma I, 100 3a 20-26)

يلاحظ فى هذا النص الصريح أن أرسطو لا يسمى هذا العلم بل يقرر وجوده فقط ويوسع من فضائه من حيث العمومية ، أما العلوم الأخرى فهى خاصة ومتخصصة . ويعود ذلك إلى طبيعة الموضوع الذى تدرسه ، وهناك تعريف آخر يختلف باختلاف الموضوع .

إذ كانت هناك جواهر غير متحركة (وأرسطو يعتقد بوجودها) فإن العلم الذى يتناولها يجب إن يكون أوليا (Prior) ، ويجب أن يكون الفلسفة الأولى، وتكون هذه كلية بهذه الطريقة (أى) بالنظر إلى كونها أولية.

(E1, 1026 a 29-30)

أما فى كتاب «الفا» Alpha فيدعونا أرسطو الى البحث عن «العلم الاسمى» الذى «يبحث عن المبادىء والاسباب الأولى» (A2, 982 b8) . وفوق هذه جميعا تأتى المقالة السابعة (Zeta) وهى مقالة متأخرة تنم عن نضج الفكرة لتصرح :

ان السؤال الذى طرح باستمرار ، الآن ، وفى الماضى ، والذى كان دائما مدعاة للحيرة ، أى ما هى الكينونة ؟ هو ما الجوهر ؟ (Z 1, 1020 b-4). حسب هذا النص الأخير يكون الجوهر هو موضوع الميتافيريقا .

اختلاف الفضاءات البحثية لا يعود إلى أرسطو التاريخى لأنه لم يمكن هو الذى رتب النصوص هذا الترتيب ، ولكن مهما يكن الأمر فإن الدارس يقف حائرا أمام هذه القضاءات ، وقد انقسم الباحثون إلى باحث عن وحدة فى النص الأرسطى وإلى ناف إياها، وكل هذا بالاعتماد على النصوص نفسها . من بين الذين نعوا ان تكون هناك وحدة P. Aubeuque, Jaeger[1] ، ومن الذين دافعوا عنها Joseph Ownes الذى حاول أن يرد على طرح Jaeger ومنهجه [2].

يرى P. Aubenque أن الميتافيزيقا تطرح موضوعين : الكينونة من حيث هى كذلك (L'etre ou tout qu'etre) وهذا موضوع الانطولوجيا ، والكائنات فوق الحسية ، وهذا موضوع الفلسفة الأولى أو اللاهوت ، ويبدو أن أرسطو دشن مبحث الانطولوجيا بعيدا عن الاهتمامات اللاهوتية :

لقد بينا ... أن المشروع الانطولوجى ظهر عند أرسطو مستقلا عن كل الاهتمامات اللاهوتية ، ونتيجة لذلك فانه عندما يتحدث عن الكينونة من حيث هى كينونة ، أى الكينونة ى وحدتها ، فهو لا يسعى أبدا الى وحدة الكائن الآلهى وكينونة العالم دون القمر (Subluvaire) أو .... (وحدة) الكائن فوق الحسى، والكائن الحسى ، بل يسعى إلى وحدة الكينونة داخل العالم الحسى [3].

بهذا يكون Aubenque قد سار فى اتجاه Jaeger من دون أن يأخذ بطروحاته فى طبيعة تشكل النص الارسطى . ولكن على الرغم من أنه يصرح برفضه الوحدة النسقية المزعومة ، فهو إنما يفعل ذلك إذا كانت هذه الوحدة مسلما بها منذ البداية ، ولكنه لا يرفضها إذا كانت مسعى أو مقصدا تتجه اليه النصوص الارسطية [4].

---

(1) P. Abenque, *Le Probleme de l'etre chez Aristotle* (Paris, PUF, 1962, repr. 1996).
(2) J. Ownes, *The Doctrine of Being in the Arislotelian Metaphysics* 2 nd., ed (Toronto, Canad) A: Pontifical Institute of Medie Studies, 1963) .
(3) P. Aubenque, p. 370.
(4) Ibid., p. 11.

لعل ما ذكرته فيما يخص موضوع الميتافيزيقا يفى بالغرض ، ولكن قبل أن أنهى هذه الاشكالية البحثية هناك جانب منهجى رأيت أن القاء الضوء عليه يؤيد الفكرة العامة التى تريد هذه الورقة اثباتها .

المعروف عن أرسطو قوله بتعدد المناهج ، ويعود هذا التعدد عموما الى طبيعة الموضوع . من ذلك رأيه فى تطبيق المنهج الرياضى الذى لا يراه يصلح لكل شىء، بل صلاحيته تقتصر على الموضوعات الخالية من المادة ، وهو هنا، بغض النظر عن مدى صحة رأيه أو خطئه ، لا يراه صالحا للفيزياء لأن الظاهرة الفيزيائية لا تخلو من مادة (a 3, 995a 15-18) . ونجد دعوته إلى التعددية المنهجية صريحة ، فى مكان آخر حيث يناقش نظرية المثل عند أفلاطون مركزا على تعدد المعانى لمفهوم الخير ، شأنه فى ذلك شأن «الكينونة» .

> وكما أن الكينونة ليست واحدة بالطرق التى ذكرت فذلك هو شأن الخير، ومن ثم فلا يوجد علم خاص بالكينونة أو بالخير . وحتى الاشياء الخيرة نفسها فى اطار الصنف نفسه (الخير) ليست مواضيع لعلم واحد، من ذلك مثلا الفرصة (opprtunity) والاعتدال (Moderation).
>
> الفنون المختلفة تغطى أنواعا مختلفة من الفرصة والاعتدال من حيث علاقتهما بالغذاء ؛ الطب والتدريب البدنى من حيث علاقتهما باستراتيجية الحرب[1].

قد تكون هذه ملاحظات متناثرة هنا وهناك ، لا تعبر عن فكر منظم حول الموضوع ، لذا رأينا أن ندعمها بالخلل المنهجى انطلاقا من الأعمال المنطقية لأرسطو .

- ١٠ -

عندما يثار موضوع المنهج عند أرسطو لعل أول ما يستحضره الذهن هو الأورغانون الذى يحتوى على المؤلفات المنطقية ،. وأهم هذه

(1) Aristotle, *Eudemian Ethics*, 1217 b 33. quoted in Guthrie, p. 20.

المؤلفـات هما التحليلات الأولى والتحليلات الثانية اللتين تمثلان نضج الاسهام الأرسطى فى المنطق ، يدرس أرسطو فى العمل الأول صور الحجة حسب الاشكال والأحزبة فى سياق نظرية القياس ، أما فى العمل الثانى فيدرس شروط البرهنة . البرهنة تبقى دائما قياسية ، ولكنها لا تستغرق بذلك القياس الذى هو أوسع من البرهان . والبرهان هو القياس العلمى الذى يعتمد على معرفة الشىء بمعرفة سببه الحقيقى بصفته سبب هذا الشىء دون سواه [١]. ويعرف أرسطو البرهان كما يلى :

أعنى بالبرهان القياس المنتج للمعرفة العلمية ... وافتراضا ان أطروحتى المتعلقة بالمعرفة العلمية صحيحة ، فإن مقدمات المعرفة المبرهنة يجب أن تكون صادقة ، أولية. مباشرة ومعروفة معرفة سابقة عن النتيجة التى ترتبط بالمقدمات ارتباط الأثر بالسبب [٢].

وما دام يشترط فى المقدمات أن تكون أولية (Permary) فهذا يعنى أنها غير مبرهنة ، لأنها تمثل المبادىء التى ينطلق منها الاستدلال العلمى ولذلك فالمعرفة العلمية أو البرهانية تختلف عن المعرفة الظنية ، ومن بين اشكال القياس المرتبطة بالمعرفة العلمية يعتبر أرسطو أن الشكل الأول اكثر الاشكال علمية[٣] .

وبتركيزه على القياس لا ينفى أرسطو دور الاستقراء ، ولا دور الحدس، ومع ذلك يبقى أنه يفضل القياس الذى هو أحد صور الاستنباط (deduction) . وبما أن القياس أسمى الطرق المؤدية إلى المعرفة الحقة فإنه من مهمة الفيلسوف ان يبحث فيه ، «يبدو واضحا اذن ان مهمة الفيلسوف الذى يتناول بالبحث كل

---

(1) Aristetle, *Posterior Analytics*, tr. G.R.G Mure in R. Mckeon, ed *Introduction to Aristotle* (N.Y: odern Lebrary. 1947) 2,71610.
(2) Ibid, 2, 71b 17-23.
(3) Ibid., 14, 79 a 16.

الجواهر طالما أنها تندرج بالطبيعة تحت علمه أن يدرس أيضا مبادىء القياس».(Gamma 3, 100 5 b 6-8) * لكن أرسطو لا يستمر فى الحديث عن القياس هنا فى الميتافيزيقا بل راح يتطرق إلى مبدأ عدم التناقض بصفته «أيقن المبادىء» .

عندما ننظر إلى الاعمال المنطقية نجدها لا تحتوى على اسهام أرسطو فقط ، بل تحتوى كذلك على شىء من الانطولوجيا ، وفلسفة اللغة (المقولات) ، وعلى فلسفة العلم (التحليلات الثانية) . من أهم المسائل التى تبحثها فلسفة العلم هى المسألة المنهجية ، ولعل تصنيف الأعمال المنطقية تحت اسم الاورغانون فى وقت متأخر كان أحد مبرراته هو المنهج ، ولذلك مصطلح الاورغانون يعنى «أداة العلم»[1] وهناك من الباحثين من يعتبر أن أرسطو يقترح فعلا منهجا للبحث العلمى يتصف بطريق مزدوج استقرائى – استنباطى[2] . ولكن ما يهمنا هنا هو اشكالية المطلب النسقى ، ولذلك نتساءل : هل التزم أرسطو بالمنهج الذى يقترحه فى بعض أعماله المنطقية؟

قد يكون هذا السؤال بلا معنى إذا سلمنا لبعض الدارسين أن ما يقدمه أرسطو فى التحليلات الثانية لا يتعلق بالمنهج بتاتا ، بل غرضه هو تقدم طريقة لتقديم المعرفة المكتسبة .

نظرية العلم البرهانى لم تكن أبدا لتوجه أو تصورت (Formalize) البحث

---

* لا يسمح فضاء هذا المقال بالاسترسال فى هذه النقطة ، فليست هذه غاية فى حد ذاتها . ذلك أن عرضها يقتضيه الدور الوظيفى الذى يستلزمه الخط العام لهذه الورقة ، ذلك الخط الذي لا يستدعى محاكمة الاسهام المنطقى لارسطو فقد بث فى ذلك أهل الاختصاص .

(1) W. and M. Kneale, *The Develepment of Logic* (Oxford: The (London Press, 1968), p. 23.

(2) Yohn Losee, A Historical Introduction to the philosophy o Science (OXford: Oxford University Press. 1471). p. 6.

العلمى ، انها تتعلق ، بطريقة حاسمة ، بتعليم الوقائع التى تم تحصيلها، فهى لا تصف كيف يعمل العلماء أو ما ينبغى عمله للحصول على المعرفة . إنها تقدم نموذجا صوريا للكيفية التى يقدم بها المعلمون المعرفة ويبلغونها[١] .

يمكن أن يكون هذا الرأى محقا طالما أن نقطة الانطلاق فى القياس البرهانى تكون قد عرفت ، كما هو الحال فى المقدمات ، ولكن هذا رأى شاذ ولا يعفينا من السؤال الاشكالى الئى طرحناه .

تقصى النصوص ينفى أن يكون المعلم الأول قد التزم بنظريته فى المنهج، ويبدو أن هذا التعارض كان هيجل قد سبق اليه غيره حسبما يصرح به بعض الدارسين «يكون هيجل ، حسب علمنا ، أول من لاحظ ، على الأقل فيما يخص الميتافيزيقا، التباين بين النظريات المنطقية والممارسة الحقيقية لارسطو»[٢] ذلك ما يظهر فى الممارسة المنهجية فى الميتافيزيقا التى تحتل قضاء الفيلسوف الباحث عن الحقيقة ، والباحث هنا هو أرسطو . وما يهمنا هنا هو الطريقة المتبعة فى البحث التى لا يبدو أنها استنباطية ، كما تقترح ذلك التحليلات الثانية. وعوضا عن ذلك يقترح منهجا اخر سيتبعه فى تناول مسألة ما ، وهو ما يصرح به فى مقالة Beta حيث يعرض فيها المسائل التى يجب على الفيلسوف تناولها :

يجب علينا ، بالنظر الى العلم الذى نرومه، أن نطرح أولاً المعضلة-ap (oria) التى يجب مناقشتها، وهذه تشتمل على الآراء الأخرى التى يقول بها بعضهم فيما يخص المبادىء الأولى ، واضافة الى ذلك أية نقطة يمكن أن يكون قد أغفل عنها (B 1.995 a 24-27) .

---

(1) Y. Barnes, "Aristotle" Theory of Demonstration" quoted in Guthrie, p. 170.

(2) P. Aubenque, "Sur La notion arstotelienne d'aporie" in *Aristole et les Problemes de methode* (Louvain: Publication Univrsitaires 1961) p. 3n.1.

تصف الدراسات الاجنبية هذه المقاربة باستعمال الكلمة اليونانية Aporia ، التى يمكن ، حسب معناها أن تترجم بـ «معضلة» أو «صعوبة» ويتفق الدارسون على أنها تميز منهجية أرسطو وإن اختلفوا فى مدى اتساع نطاقها . فهذا «روص» Ross يحكم بأن أرسطو يتبع هذا الاجراء المنهجى فى كل مؤلفاته تقريبا ، ومن ثم فليس منهجه استنباطيا .

ان الاجراء المتبع فى الميتافيزيقا كلها لم يكن ابدا استنباطيا، بل يبقى دائما اشكاليا (Aporematic) .. ويمكن أن نلاحظ أن المنهج فى الاساس يبقى نفسه فى كل أعمال أرسطو تقريبا . والاستثناء الرئيسى هو التحليلات الأولى ، ذلك أن المنطق الصورى يمكن طبعا أن يعالج الى حد ما بطريقة مماثلة للعلوم الدقيقة ، أما فى باقى أعماله كلها تقريبا فإن المنهج هو المنهج الاشكالى الذى يعد صالحا بالفعل للفلسفة(١) .

وبعضهم يحاول أن يجد المعنى الحرفى لـ aporia فهى بالانجليزية تعنى "no - way" أو بالفرنسية cul - de soc (٢). ويخصص أرسطو المقالة "Beta" لطرح كل المعضلات التى على الفيلسوف أن يواجهها، وعددها أربع عشرة . من هذه مثلا دراسة الاسباب : هل هذه تنتمى إلى علم واحد أو أكثر ، ثم هل هذا العلم يتناول «فقط الاسباب الأولى للجواهر أم كذلك المبادىء التى ينطلق منها كل الناس فى برهنة الاشياء ، من ذلك مثلا هل يمكن ان نقرر الشىء نفسه وننفيه فى الوقت نفسه ، بالاضافة إلى مبادىء اخرى من هذا القبيل» (B 1, 995 b 5-10) .

انطلاقا من هذا التوجه الاشكالى يقترح أرسطو على الباحث أن يطرح المشكلة طرحا جيدا ومفهوما حتى يتضح له المنحى الذى ينحوه ، وهو فى هذا لا ينطلق من فراغ ، ذلك ان المشكلة المطروحة كثيرا ما تكون قد عولجت من قبله،

---

(1) W.D. Ross, *Aristotle's Metaphysics*, vol. 1 , p. 252.
(2) W.K.C. Guthrie, p. 92.

لذلك كان لزاما عليه استعراض آراء من سبقوه ، وهذه ممارسة تقليدية عند أرسطو . ففى المقالة الأولىAlpha يعرض الفلسفة بصفتها علما نظريا يهتم بالمبادىء والاسباب ، وفى هذا يستعرض آراء من سبقوه .

هذه الآراء السابقة قد تكون متعارضة لتشكل لذلك معضلة أمام الفيلسوف الذى سيبحث عن مخرج لها .. وليس المخرج يكمن دائما فى تجاوز الآراء السابقة ، بل أحيانا يقنع الفيلسوف بأهل الخبرة ، كما يحدث ذلك فى المسائل العملية التى لا تخضع دائما للبرهنة ، وهذا ما يصرح به فى الاخلاق الى نيقوماخوس.

ينبغى أن نستأنس إذن بالأقوال غير المبرهنة وآراء أهل التجربة والكبار أو ذوى الحكمة العلمية . وليس هذا أقل شأنا من البرهنة ذلك أن التجربة منحت هؤلاء عينا يرون بها رؤية صحيحة .(VI, 11, 1143610 - 14)

قبل أن أنهى هذا الجانب أود أن أذكر الملاحظات النامية:

أولا : أن هذه المقاربة الاشكالية (Aporimatic) التى تقتضى استعراض آراء السابقين لا نجدها فى كل أعمال أرسطو ، ففى المنطق مثلا لا يلجأ الى آراء من سبقوه اقتناعا منه أنه مبحث لم يسبقه اليه احد ، «أما فيما يخص بحثنا الراهن (فى اشكال الحجة) فليس جزء منه قد أنجز من قبل . وجزء آخر منه ليس بعد ، بل إنه لم يوجد أبدا» (١).

ثانيا : المنهجية التى يتبعها أرسطو فى الميتافيزيقا تؤدى إلى استنتاج هام، وهو أن الميتافيزيقا لا يمكن أن تؤسس لغيرها من العلوم لأنها «لا تستطيع ان تبرهن مبادىء العلوم الخاصة» التى تقتطع جزءا من الكينونة وتدرسه ذلك أن «كل علم يبدأ من مبادىء غير قابلة للبرهنة»(٢) .

---

(1) Aristotle, *Sophistical Reputations*, 183b 34 F, quoted in Lloyd, p. 2185.
(2) Ross, Vol. 1, p. 252.

ثالثا : ممارسة هذا الاجراء المنهجى الاشكالى يعنى أن أرسطو لا يملك حلولا جاهزة ، وهذا يبين طبيعة النص الارسطى الذى تطور بالتنقيح والزيادة لأنه كان دائما موضوعا للمحاضرة والتدريس، ومن شأن النص التعليمى أن يتغير طالما أنه يتغذى بمجريات التعايش أو العمل التعليمى عموما . لعل هذا ما جعل Ross يصف الميتافيزيقا مثلاً بأنها «لا تعبر عن نسق دجماتى عن مغامرات عقل فى بحثه عن الحقيقة (١).

- ١١ -

يعد هذا كله ما الذى افضت اليه هذه الورقة ؟ لقد نفت ان يكون عند أرسطو نسق بالمعنى المتداول لهذا المصطلح ، وذلك بالاستناد الى عوامل تاريخية ونصية ومنهجية ، ولو كان أرسطو هو الذى أشرف على نشر أعماله ، ولو لم يضع جزء هام من هذه النصوص ، لجاءنا النص مختلفا ، خاصة أنه معروف بروحه التنظيمية التى مكنته من تأسيس اللوقيون الذى شهد تنظيما للعمل العلمى .

وهذا المعطى ، وهو موضوعى من دون شك ، يجب ان يكون نقطة الانطلاق والدليل الموجه للباحث . لقد كان كذلك بالنسبة الينا وإلى من سبقونا فى هذه المسألة ، لقد اقتنعنا باستحالة وجود نسق كما شرحنا ، ولكن لا يعنى هذا خلوه تماما من أية نسقيه أو من أفكار منتظمة . فمثلا أفكاره عن المادة بصفتها مبدأ التغير والتفرد(individuation) منسجمة من دون ان يجعله ذلك ماديا بالمعنى المتداول . وكذلك هو الشأن فى رأيه فى المعرفة البرهانية التى يشترط فيها الارتقاء الي الصورة القياسية. ويمكن أن تكون هناك أمثلة أخرى من هذا القبيل . وفوق هذا وذلك لا ينبغى أبدا أن يستدل بخلو النسقية على فساد فلسفة ما أو الانتقاص منها ، فهناك فلسفات ثارت على الروح النسقية وكنها أكدت فائدتها وحضورها أكثر من الفلسفات التى اتخدت النسق صورة لها . بل إن فلسفة أرسطو دليل على ذلك ، إذ لم يستطع مخلوق أن يحتل بفلسفته المشهد

(1) Ross, "Introduction", vol. 1 p. L xxvii.

الفكرى قرونا من الزمن ، حتى أن كلمة «فلسفة» فى مرحلة ما كانت تعنى فلسفة المعلم الأول .

ملحق

مختصر بمحتويات الميتافيريقا

تتألف ميتافيزيقا أرسطو من ١٤ مقالة ، تعد المقالة الأولى «الفا» (Alpha) مدخلا حيث يستجلى فيه أرسطو علم المبادىء الأولى أو علل الاشياء من دون أن ينسى أن يتطرق باختصار الى تاريخ الموضوع ، يلى ذلك مقالة صغيرة تعرف و «الفا الصغرى» (Little alpha) ، تعد مقدمة ثانية، وهذه المقالة تثير اشكالا من حيث صحة انتسابها الى أرسطو . بعد هذا تأتى مقالة Beta التى تعرض سلسلة من المشاكل أو المعضلات تعرف بـ (aporia) . وعددها ١٤ فى المجموع ، غير أن أرسطو لا يقترح حلا لكل منها ، ومع ذلك تعد هذه المقالة حسب Ross ، برنامجا وليست مقالة منتهية . بعد ذلك تأتى مقالة (Gamma) حيث يوكل أرسطو للفلسفة دراسة الكينونة من حيث هى كذلك ، ولكنه بدل التوسع فى تحليل هذه المسألة يتجه أرسطو لمناقشة مبدأ عدم التناقض. أما مقالة Delta فتعرض قاموسا بمصطلحات فلسفية ، ثم تأتى مقالة Epislon حيث يذكر ما هى العلوم النظرية (الفيزياء ، الرياضيات ، واللاهوت أو الفلسفة الأولى) ليركز على الكينونة كما يتطرق الى الصدق والكذب.

أما مقالات Theta. Eta . Zeta فتمثل صلب الميتافيزيقا من حيث تمحورها حول الجوهر وعلاقته بالمادة والصورة ، والوجود بالقوة والوجود بالفعل وكذلك التغير والتكون . ليس من السهل تقرير ما هى اجابة أرسطو عن السؤال : ما هو الجوهر ؟ يرى بعضهم أنه يوحده بالماهية أو بالصورة . تأتى بعد ذلك مقالة Iota لتعالج مفاهيم الوحدة والهوية والكثرة والتضاد . أمامقالة Kappa فتتألف من تلخيصات عن Epsilon, Delta, Gamma وبعض الاجزاء من الفيزياء .

بعد هذا ننتقل الى مقالة Lambda التى تتناول أنواع الجواهر المنفصلة والمبادىء والاسباب المتعلقة بها ، كما تحتوى هذه المقالة اللاهوت الأرسطى ما دام أرسطو يتطق الى المحرك الذى لا يتحرك . وفى الختام نجد مقالتى MU و NU حيث يعرض أرسطو أفكاره فى فلسفة الرياضيات والوضع الانطولوجى للأعداد . وفى هذا السياق يتطرق لوجهة نظر افلاطون ، الفيلسوف الحاضر فى كل مناقشات أرسطو الفلسفية تقريبا .

obeikandl.com